سورة الطارق

مكية، وآياتها ١٧

[نزلت بعد البلد]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۝٢ ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ ۝٣﴾

﴿ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ ۝٣﴾ المضيء، كأنه يثقب الظلام بضوئه فينفذ فيه، كما قيل: درّيء، لأنه يدرؤه، أي: يدفعه. ووصف بالطارق؛ لأنه يبدو بالليل، كما يقال للآتي ليلا: طارق: أو لأنه يطرق الجني، أي يصكه. والمراد: جنس النجوم، أو جنس الشهب التي يرجم بها. فإن قلت: ما يشبه قوله: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۝٢ ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ ۝٣﴾ إلا ترجمة كلمة بأخرى، فبين لي أيّ فائدة تحته؟ قلت: أراد الله ـ عزّ من قائل ـ: أن يقسم بالنجم الثاقب تعظيمًا له، لما عرف فيه من عجيب القدرة ولطيف الحكمة، وأن ينبه على ذلك فجاء بما هو صفة مشتركة بينه وبين غيره، وهو الطارق، ثم قال: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۝٢﴾ ثم فسره بقوله: ﴿ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ ۝٣﴾ كل هذا إظهار لفخامة شأنه، كما قال ﴿۞ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝٧٥ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ۝٧٦﴾ [الواقعة: ٧٥ ـ ٧٦] روي: أنّ أبا طالب كان عند رسول الله ﷺ، فانحط نجم، فامتلأ ما ثم نورًا فجزع أبو طالب وقال: أيّ شيء هذا؟ فقال عليه السلام: «هذا نجم رمي به، وهو آية من آيات الله» فعجب أبو طالب، فنزلت (١٧٣٧).

﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ۝٤﴾

فإن قلت: ما جواب القسم؟ قلت ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ۝٤﴾ لأنّ «إن» لا تخلو فيمن قرأ لما مشددة، بمعنى: إلا أن تكون نافية. وفيمن قرأها مخففة على أن «ما» صلة تكون مخففة من الثقيلة، وأيتهما كانت فهي مما يتلقى به القسم، حافظ مهيمن عليها

١٧٣٧ ـ ذكره الواحدي في أسباب النزول ص ٤٧٦ رقم (٨٥١) بغير إسناد.
وعزاه الزيلعي (٤/١٨٩) للثعلبي قال الحافظ: هكذا ذكره الثعلبي والواحدي بغير إسناد. انتهى.

رقيب، وهو الله عزّ وجل ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ رَّقِيبٗا﴾ [الأحزاب: ٥٢]، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقِيتٗا﴾ [النساء: ٨٥]، وقيل: ملك يحفظ عملها ويحصي عليها ما تكسب من خير وشرّ. وروي عن النبي ﷺ: «وكل بالمؤمن مائة وستون ملكًا يذبون عنه كما يذّب عن قصعة العسل الذباب. ولو وكل العبد إلى نفسه طرفة عين لاختطفته الشياطين»/ ٢/ ٢٦٠أ (١٧٣٨).

﴿فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّآءٖ دَافِقٖ ۝٦ يَخۡرُجُ مِنۢ بَيۡنِ ٱلصُّلۡبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝٧﴾

فإن قلت: ما وجه اتصال قوله ﴿فَلۡيَنظُرِ﴾ بما قبله؟ قلت: وجه اتصاله به أنه لما ذكر أن على كل نفس حافظًا، أتبعه توصية الإنسان بالنظر في أوّل أمره ونشأته الأولى، حتى يعلم أنّ من أنشأه قادر على إعادته وجزائه، فيعمل ليوم الإعادة والجزاء، ولا يملي على حافظه إلا ما يسره في عاقبته؛ و﴿مِمَّ خُلِقَ﴾ استفهام جوابه ﴿خُلِقَ مِن مَّآءٖ دَافِقٖ ۝٦﴾ والدفق: صبّ فيه دفعٌ. ومعنى دافق: النسبة إلى الدفق الذي هو مصدر دفق، كاللابن والتامر. أو الإسناد المجازي. والدفق في الحقيقة لصاحبه، ولم يقل ماءين لامتزاجهما في الرحم، واتحادهما حين ابتدئ في خلقه ﴿مِنۢ بَيۡنِ ٱلصُّلۡبِ وَٱلتَّرَآئِبِ﴾ من بينَ صلب الرجل وترائب المرأة: وهي عظام الصدر حيث تكون القلادة. وقرئ «الصلب» بفتحتين، والصلب بضمتين. وفيه أربع لغات: صَلْب، وصُلْب، وصَلَب وصَأْلب قال العجاج [من الرجز]:

فـي صَـلَـبٍ مِـثْـلِ الْـعِـنَـانِ الْـمُـؤْدَمِ(١)

١٧٣٨ ـ رواه الطبراني في الكبير (٨/ ١٩٦ ـ ١٩٧) رقم (٧٧٠٤) حدثنا أبو زيد الحوطي، ثنا أبو اليمان، ثنا عفير بن معدان، عن سليم بن عامر، عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله فذكره.
قال الهيثمي (٧/ ٢٠٠٩).
«وفيه عفير بن معدان وهو ضعيف» أ.هـ.
قال الحافظ: أخرجه الطبراني من رواية عفير بن معدان عن سليم بن عامر عن أبي أمامة به وأتم منه. وعفير ضعيف. انتهى.

---

(١) ريـا الـعـظـام فـخـمـة الـمـخـدم فـي صـلـب مـثـل الـعـنـان الـمـؤدم

للعجاج. والريا: تأنيث الريان، أي: لينة العظام، سمينة محل الخدام وهو الخلخال. والمخدم ـ بالتشديد ـ على اسم المفعول. والصلب ـ بضمتين، وبفتحتين، وبضم فسكون: عظام الظهر، والمراد هنا: الخصر. وفي بمعنى مع، أي: وصفت بهذه الصفات، مع أن لها خصرًا رقيقًا لينًا، مثل العنان المؤدم. على اسم المفعول، أي: المؤلف بالفتل، يقال: أدم بينهما ـ بقصر الهمزة وبمدها ـ: بمعنى ألف وأصلح. أو المجعول له أدمة. أو لين الأدمة ـ بفتحتين، وهي الجلدة المدبوغة المصلحة، من أدمه بالمد: جعل له أدمة. والفخمة بالضم: الضخامة واسترخاء الرجلين. والفخمة ـ بالفتح ـ: وصف منه.
ينظر: ديوانه ١/ ٤٤٩، ٤٥٠، ولسان العرب (صلب)، (أدم)، وتهذيب اللغة ١٢/ ١٩٦، وتاج =

وقيل: العظم والعصب من الرجل، واللحم والدم من المرأة.

﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ۝٨ يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ۝٩ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ۝١٠﴾

﴿إِنَّهُۥ﴾ الضمير للخالق، لدلالة «خلق» عليه. ومعناه: إنّ ذلك الذي خلق الإنسان ابتداء من نطفه ﴿عَلَىٰ رَجْعِهِۦ﴾ على إعادته خصوصًا ﴿لَقَادِرٌ﴾ لبين القدرة لا يلتاث[1] عليه ولا يعجز عنه. كقوله: إنني لفقير[2] ﴿يَوْمَ تُبْلَى﴾ منصوب برجعه؛ ومن جعل الضمير في ﴿رَجْعِهِۦ﴾ للماء وفسره برجعه إلى مخرجه من الصلب والترائب أو الإحليل. أو إلى الحالة الأولى نصب الظرف بمضمر ﴿ٱلسَّرَآئِرُ﴾ ما أسرّ في القلوب من العقائد والنيات وغيرها، وما أخفي من الأعمال وبلاؤها. تعرّفها وتصفحها، والتمييز بين ما طاب منها وما خبث وعن الحسن أنه سمع رجلاً ينشد [من الطويل]:

سَيَبْقَى لَهَا في مُضْمَرِ الْقَلْبِ وَالْحَشَا ... سَرِيرَةُ وُدٍّ يَوْمَ تَبْلَى السَّرَائِرُ[3]

فقال: ما أغفله عما في ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝١﴾ ﴿فَمَا لَهُۥ﴾ فما للإنسان ﴿مِن قُوَّةٍ﴾ من منعة في نفسه يمتنع بها ﴿وَلَا نَاصِرٍ﴾ ولا مانع يمنعه.

﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ ۝١١ وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ ۝١٢ إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ۝١٣ وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ ۝١٤﴾

= العروس (صلب)، (أدم)، والمخصص ١٥/ ٧٩، وديوان الأدب ١/ ٢٠٤، وبلا نسبة في جمهرة اللغة ص ١١٣٩، ومقاييس اللغة ٣/ ٣٠١، ومجمل اللغة ٢/ ٢٣٥، والمخصص ١/ ١٥، ٤١، ٤/ ١٠٩.

(١) قوله: «لا يلتاث عليه» في الصحاح «التاث في عمله»: أي أبطأ. (ع)

(٢) قوله: «كقوله إنني لفقير» أي الشاعر، حيث قال [من الطويل]:

لئن كان يهدى برد أنيابها العلى ... لأفقر مني إنني لفقير

وقد تقدم شرح هذا الشاهد.

(٣) إذا رمت عنها سلوة قال شافع ... من الحب: ميعاد السلو المقابر

سيبقى لها في مضمر القلب والحشا ... سريرة ود يوم تبلى السرائر

لمجنون بني عامر صاحب ليلى العامرية. وسلا عنه سلوة وسلوا: صد عنه وأعرض، وشبه بعث الحب إياه وحمله على دوام المودة بقول القائل على طريق التصريحية، وتسمية الحب شافعًا: ترشيح، ومن بيانية. ويحتمل أنها تجريدية دلالة على أن الحب بلغ نهاية اللذة حتى حمل على دوام المودة فانتزع منه غيره وأسند له الفعل. ويجوز أنها تبعيضية دالة على أن بعضه يكفي في الشفاعة. وقوله: «المقابر» أي دخولها، كناية عن الموت. والمراد: التأبيد، بدليل ما بعده. ومضمر القلب: المضمر في القلب. أو مضمر هو القلب. وتبلى: مبني للفاعل، أي: تفنى. ويحتمل بناؤه للمفعول، أي: يختبر والحشا ـ بالفتح ـ: عطف على القلب أعم منه، دلالة على أن الحب في غير قلبه أيضًا.

ينظر: ديوانه ص ١١٨، ولسان العرب (ضمر)، والتنبيه والإيضاح ٢/ ١٥٥، وتاج العروس (ضمر)، والشعر والشعراء ص ٥٢٥، والأغاني ٤/ ٢٤٤، وأمالي القالي ٢/ ١٦٤.

سمي المطر رجعًا، كما سمي أوبًا قال [من البسيط]:

رَبَّـاءُ شَـمَّـاءَ لاَ يَـأْوِي لِـقُـلَّـتِـهَـا إِلاَّ الـسَّـحَـابُ وَإِلاَّ الأَوْبُ والـسَّـبَـلُ[1]

تسمية بمصدري: رجع، وآب؛ وذلك أنّ العرب كانوا يزعمون أنّ السحاب يحمل الماء من بحار الأرض، ثم يرجعه إلى الأرض. أو أرادوا التفاؤل فسموه رجعًا. وأوبًا، ليرجع ويؤوب. وقيل: لأنّ الله يرجعه وقتًا فوقتًا. قالت الخنساء: كالرجع في المدجنة السارية. والصدع: ما تتصدّع عنه الأرض من النبات ﴿إِنَّهُۥ﴾ الضمير للقرآن ﴿فَصْلٌ﴾ فاصل بين الحق والباطل، كما قيل له فرقان ﴿وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ ﴿١٤﴾﴾ يعني أنه جدّ كله لا هوادة فيه. ومن حقه ـ وقد وصفه الله بذلك ـ أن يكون مهيبًا في الصدور، معظمًا في القلوب، يترفع به قارئه وسامعه وأن يلم بهزل أو يتفكه بمزاح، وأن يلقى ذهنه إلى أنّ جبار السموات يخاطبه فيأمره وينهاه، ويعده ويوعده، حتى إن لم يستفزه الخوف ولم تتبالغ فيه الخشية، فأدنى أمره أن يكون جادًا غير هازل، فقد نعى الله ذلك على المشركين في قوله: ﴿وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ﴿٦١﴾ [النجم: ٦٠ ـ ٦١]، ﴿وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ﴾ [فصلت: ٢٦].

﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا ﴿١٧﴾﴾

﴿إِنَّهُمْ﴾ يعني: أهل مكة يعملون المكايد في إبطال أمر الله وإطفاء نور الحق، وأنا أقابلهم بكيدي: من استدراجي لهم وانتظاري بهم الميقات الذي وقته للانتصار منهم ﴿فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ يعني: لا تدع بهلاكهم ولا تستعجل به ﴿أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا﴾ أي: إمهالاً يسيرًا؛ وكرّر وخالف بين اللفظين لزيادة التسكين منه والتصبير.

عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة الطارق أعطاه الله بعدد كل نجم في السماء عشر حسنات» (١٧٣٩).

١٧٣٩ ـ تقدم برقم (٣٤٦). قال الحافظ: أخرجه الواحدي والثعلبي وابن مردويه بالسند إلى أبي بن كعب. انتهى.

---

(١) للمنتخل الهذلي يرثي ابنه. وقيل: يصف رجلاً بأنه رباء، أي طلاع من رباً وارتبأ: إذا طلع لينظر إلى أمر. ومنه الربيئة؛ وإضافته إلى شماء من إضافة الوصف لمفعوله: وهي القلعة المرتفعة من الشمم وهو الارتفاع. وقلة الجبل وقنته: رأسه وأعلاه. والأوب: النحل، لأنه يذهب ويثوب إلى بيته. أو المطر؛ لأن أصله من بحار الأرض على زعم العرب، ثم يثوب إليها. والسبل ـ بالتحريك ـ: المطر من أسبلت الستر إذا أرسلته وأرخيته، وعلى أن الأوب بمعنى النحل لا مناسبة بينه قرينية، وعلى أنه بمعنى المطر، فالسيل مرادف له.
ينظر: خزانة الأدب ٥/ ٣، ٧ وشرح أشعار الهذليين ٣/ ١٢٨٥، وشرح شواهد الايضاح ص ٣١٥، وشرح المفصل ٣/ ٥٨، ٥٩، وللهذلي في لسان العرب (أوب).